الحسد (٣)

المعنى .. الأسباب .. المعالجة

محاضرة لفضيلة الشيخ سليمان المدني
اعداد:
عبدالرضا هارون

○ فضيلة الشيخ سليمان المدني ○

ان الجوهر الملكوتي المعروف بالنفس البشرية الذي يسخر القالب الجسماني مكوناته أربعة أصول وهي القوة السبعية ومنها الغضب والشهوية ومنها أفعال البهائم والشيطانية ومنها الوسوسة والربانية ومنها العبادة والطاعة.

وقد أشار فضيلة الشيخ سليمان المدني في العدد السابق الى القوى النفسية ذات الصلة بصنع قرار الحسد والدور الكبير للقوتين الروحية والشهوية في منشأ الحسد، ويواصل فضيلته الحديث عن أثر الحسد في الدارين على صاحب النعمة المنظورة.

ان الحسد اضافة الى انه مرض نفسي فهو سقوط خلقي ومخالفة شرعية بل هو نوع من الجنون لأن الحاسد اذا تمنى زوال نعمة زيد من الناس هل يعلم بانه يتمكن من ازالتها بحسده أو لايعلم؟ فان كان لايعلم فهذا أحمق وان كان يعلم بانه لايتمكن من ازالة نعمة زيد بحسده لأن ارادة الله لاتخضع لطلباته ولا لتوجهاته، وانه مادامت الارادة الالهية قد اقتضت استمرار هذه النعمة عند زيد من الناس فسوف تستمر وان أجمع كل أهل الأرض على ازالتها، ومع ذلك يشغل نفسه في ازالتها فهو بذلك يكون مجنونا قد ضيع كل وقته في شيء خارج عن ارادته فمازالت النعمة لايتمكن منها الحاسد مهما فعل وسعى بل بالعكس ربما يكون توجهه ضد المحسود فيه فائدة له وهذه الفائدة للمحسود طبعا فائدة اخروية، ولكن قد يكون توجه الحاسد ضد المحسود سببا للفوائد الدنيوية فانه عندما يريد أن يعيبه يحاول قلب الحسنات عيبا ويذهب ليشهر عن تلك الأفعال عند الناس وهو لايعلم بانه يرفع من سمعته وينشر صيته عندما يشتمه أو يعيبه بفعل حتى ان بعض الناس أعاب على بعض المؤمنين بأمور لو كان لهم أن يدفعوا مالا من أجل أن يقوم أحد لهم بهذه الدعاية لفعلوا، ولكن يمنعهم الشرع من ذلك فيفيض الله لهم من يحسدهم ليقوموا بهذه المهمة مجانا وعلى حساب دينهم وحسناتهم.. وطبعا هذا مرض نفسي.

والشيء الثاني ان الحاسد يتمنى اخضاع ارادة الله لطلبه لانه يجب أن يجعل الله سبحانه وتعالى حسده سببا لايقاف النعمة وطبعا هذا تمني ربما لا أريد أن أقول انه لايجوز في الشرع لكن أقول انه لايمكن تحقيقه ولو فكر الحاسد انه لو تحقق يكون في غير صالحه.. كيف؟

لأن كل واحد من عباد الله سبحانه وتعالى أنعم عليه بنعم له اناس يحسدونه على ذلك، فلو أن الله سبحانه وتعالى يستجيب له ويجعل الحسد سببا طبيعيا في

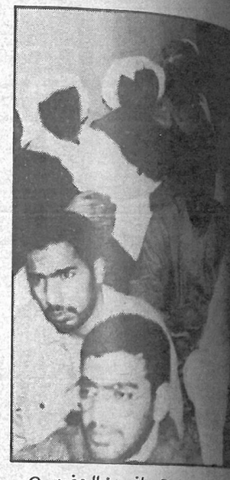

○ جانب من الحضور ○

زالة النعم لكانت أول ماتزول نعمه هو بحسد أعدائه وطبعا هذا الشخص غير عاقل لأنه يريد تحقيق شيء يكون فيه ضرر على نفسه اضافة الى ذلك ان الحاسد يضر نفسه بهذا الحسد، كيف يكون ذلك؟ لأنه يتألم لوجود النعمة كلما وجدت عند المحسود فهل يريد التمادي في عدائه له أكثر من ذلك فالانسان عندما يصبح عنده عدو لايريد أكثر من قهر عدوه يقول أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام كما في الشعر المنسوب اليه:

تعلم شفاء النفس
قهر عدوها
فاوغل برفق
في العداوة أو دع

فلا يوجد شيء يَشفي العدو الا أن يرى عدوه مقهورا مهموما مغلولا عاجزا، والحاسد باعتباره يتألم بوجود النعمة عند المحسود وهو يفترض ان المحسود عدو له ولذلك يبغضه ويمقته ويحقد عليه، وفي الحقيقة انه ضر نفسه

● يكون الحسد بين علماء الدنيا وهم متهمون بأنهم أشد الناس تحاسدا

■ الحسد يعني الرغبة في تغيير الارادة الالهية
■ إضافة إلى كونه مرضا نفسيا فالحسد سقوط خلقي ومخالفة شرعية

لأنه أشمت المحسود به وأشمت حساده به اذا علموا انه يحسد زيدا ولا يتمكن أن يفعل شيئا، فبالاضافة الى الحكم الشرعي للحسد والى السقوط الخلقي فهو مرض نفسي.

ثم ان الحاسد لايتمكن من تدبير أموره وشئونه لانه يشتغل بنفسه ليلا ونهارا بالتفتيش عن المصائب والزلات والهفوات وكل مايمكن أن يتمكن عليه من النيل من المحسود وهو لو بذل هذا الوقت في اصلاح شانه لكان أرفع من ذلك الشخص المحسود وأكثر نعما وأوسع ثراء أو أعرض جاها الى غير ذلك من مراتب السمو والرفعة، الذي يصرف ذلك ويعطل نفسه كمن يصرف وقته ليلا ونهارا في لعب الشطرنج حتى يغلب ملكه ملك الفريق الآخر، هذا تضييع للوقت والجهد ربما يأخذ أشهرا وسنين في هذه اللعبة المحرمة حتى اذا لعب وفاز وحصل على جائزة بالاضافة الى ان الجائزة حرام ويمكن أن لايستفيد منها شيئا خاصة اذا كانت كأسا فيلزمه هبارة عليها من جديد وقد يذهب الكأس ولا يبقى عنده.

والحاسد من هذا القبيل ليس عاقلا تمام العقلية وعنده مرض نفسي وهذا المرض يمنعه من التوجه الى ما يفيده ويدفعه في صرف وقته وفكره وجهده الى ما يضر دنياه وآخرته.

هذا من حيث طبيعة الحسد ولكن كيف الخلاص منه؟ وقد مر علينا ان أكثر أسباب الحسد انما هو ضيق النعم في هذه الدنيا، لأن النعمة التي تكون عند (زيد) لاتكون عند (عمرو) ويعني ذلك ان نعم الدنيا تضيق بالناس فاذا ضاقت يتحاسدون عليها فمثلا المرأة الجميلة اذا تزوجها رجل لايمكن أن يحصل عليها شخص آخر، والبيت الفخم اذا صار عند شخص لايمكن أن يكون عند شخص آخر، والمنصب الرفيع اذا صار فيه (زيد) أفلت من يد (عمرو) فيحسده عليه وهكذا يكون في كثير من نعم الدنيا وحطامه الوقتية الزائلة.

والحسد يكون حتى بين العلماء وان العلماء متهمون بأنهم أشد الناس تحاسدا وحتى ورد «قسّم الحسد مائة جزء ترك منه تسع وتسعون جزءا عند العلماء وشارك العلماء الناس في تمام الجزء الباقي».. نقول ان هذا على اطلاقه غير صحيح أبدا لأن العلماء نوعان.. النوع الأول هم علماء الدنيا والنوع الثاني هم علماء الآخرة، صحيح ان موضوع الدراسة واحد لكن الهدف من الدراسة يختلف فهذا يدرس للدنيا وهذا يدرس للآخرة، فاذا كان العالمان من علماء الدنيا يزداد الحسد بينهما ويريد كل منهما أن يسيطر على قلوب الناس ويريدهم أن يلتفوا حوله وهو يعلم انه اذا احتل زيد قلوبهم اما انهم يكتفون به ولا يلتفون حول غيره أو تقل درجة التفاتهم حوله وهذا واضح بأن الناس اذا وثقوا في عالم معين واتبعوا طريقه اما انهم لا يكترثون بغيره من العلماء أو يكون تأييدهم وتقاربهم الى غيره أضعف من تقاربهم بالعالم الذي وثقوا به فعندئذ يحسد ذلك العالم باعتباره انه انما درس العلم وأجهد نفسه وتحمل المشاق والسهر انما لهذه الغاية والعالم الثاني كذلك فيقع التحاسد بين علماء الدنيا، أما لو درس العلم والهدف منه معرفة الله سبحانه وتعالى تمام معرفته والتقرب اليه فهذه الغاية لاتضيق فاذا أدرك المرء حقيقة التلذذ الحاصلة من المعرفة الالهية لاتنقص عنده حتى لو أدركها أي شخص آخر بل حتى لو أدركها كل أهل الأرض فان اللذة العقلية لا تنقص.

والنعمة في هذه الحالة تسعني وتسع غيري فلا أحسد غيري على ذلك ولا الغير يحسدني فكذلك القرب من الله سبحانه وتعالى يسع جميع عباده ولا تزاحم فيه،

بل ان العالم الاخروي اذا وجد من يشاركه في ادراك الحقيقة تزاد لذته في ادراكها وعكس ذلك اذا كان سائرا في طريق منفرد دون غيره فأحيانا تجد بعض العلماء يجزم بالفتوى ولكن يقول انه خلاف المشهور استيحاشا من التفرد ولذلك يقول أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة وأطيب السلام «لاتستوحش من طريق الحق لقلة سالكيه» فكلما ازداد عدد المدركين للحقيقة كلما ازداد المدرك لها لذة بهذه المشاركة لأن علم العالم العادي ليس علما انكشافيا كعلم الانبياء والأئمة عليهم أفضل الصلاة والسلام بل هو علم مرتبط بأسباب طبيعية تعتريه نواح من الظلمة ولذلك تجد ان العلم عند العلماء يتبدل من يوم لآخر وهذا التبدل دليل على انه لايوجد انكشاف تام للحقيقة بحيث يرقى الى قول أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام «لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناء لايوجد عنده مثل ذلك بل يعتمد على البراهين العلمية والعقلية، وهذه البراهين العقلية يقع فيها الخطأ اما من طريقة تركيب المقدمات او انه لم يحاكم تلك المقدمات عند استعمالها أو غير ذلك من الأسس العلمية والعقلية التي اعتمد عليها في البرهان.

★يتبع العدد القادم★